الفصل الأول: هكذا تحرك من مر الظهران ١

الصحيح

من سيرة النبي الأعظم ’

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

٢٠٠٦ م. ـ ١٤٢٧ هـ. ق

المركز الإسلامي للدراسات

_____

_____

_____

الفصل الأول: هكذا تحرك من مر الظهران ٣

الصحيح
من سيرة النبي الأعظم ’

العلامة المحقق
السيد جعفر مرتضى العاملي

الجزء الثاني والعشرون

المركز الإسلامي للدراسات

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الثاني

فـتـــح مـــــكـــــة

الفصل الأول: هكذا تحرك من مرّ الظهران
الفصل الثاني: دخول مكة
الفصل الثالث: القتال في مكة
الفصل الرابع: منزل الرسول ' وجوار أم هاني
الفصل الخامس: ما جرى لأبي قحافة
الفصل السادس: طواف النبي ' وتحطيم الأصنام
الفصل السابع: النبي ' في داخل الكعبة
الفصل الثامن: الخطبة الأولى في مكة
الفصل التاسع: مفتاح الكعبة.. والبيعة في مكة
الفصل العاشر: أحداث.. ومتابعات

الفصل الأول:

هكذا تحرك من مّر الظهران

الإعلان بالأمان:

قال أبو سفيان وحكيم بن حزام: يا رسول الله، ادعُ الناس بالأمان، أرأيت إن اعتزلت قريش وكفت أيديها آمنون هم؟

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «نعم».

قال العباس: قلت: يا رسول الله**!!** قد عرفت أبا سفيان وحبه الشرف والفخر، فاجعل له شيئاً.

وعن أبي سلمة ويحيى بن عبد الرحمن: أن أبا بكر قال: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب السماع، يعني الشرف انتهى.

فقال «صلى الله عليه وآله»: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن».

فقال: وما تسع داري؟

زاد ابن عقبة: «ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن» ـ ودار أبي سفيان بأعلى مكة، ودار حكيم بأسفلها ـ «ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن».

فقال أبو سفيان: وما يسع المسجد؟

قال «صلى الله عليه وآله»: «ومن أغلق بابه فهو آمن».

فقال أبو سفيان: هذه واسعة[١].

وقال الحلبي الشافعي: «عقد «صلى الله عليه وآله» في المسجد لأبي رويحة ـ الذي آخى النبي «صلى الله عليه وآله» بينه وبين بلال ـ لواءً، وأمره أن ينادي: ومن دخل تحت لواء أبي رويحة فهو آمن. أي وإنما قال ذلك لما قاله له أبو سفيان: وما تسع داري؟ وما يسع المسجد»؟[٢].

وفي نص آخر: أن العباس أخذ أبا سفيان فأباته عنده، فلما أصبح وسمع الأذان سأل العباس عنه، فأخبره، ثم أمره العباس بأن يتوضأ ويصلي.. وعلمه الوضوء.. ففعل.

فلما صلى غدا به إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: يا رسول الله، إني أحب أن تأذن لي إلى قومك، فأنذرهم، وأدعوهم إلى الله ورسوله، فأذن له.

فقال العباس: كيف أقول لهم؟! بيِّن لي من ذلك أمراً يطمئنون إليه!!

فقال «صلى الله عليه وآله»: «تقول لهم: من قال: لا إله إلا الله وحده لا

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢١٨ عن ابن عقبة، وقال في هامشه: أخرجه الطبراني في الكبير ٨/ ٩ وانظر المجمع ٦/ ١٧٢ وأخرج صدره مسلم في الجهاد باب (٣١ و ٨٤ و ٨٦) وأبو داود في الخراج باب (٢٥) وأحمد ٢/ ٢٩٢ و ٥٣٨ والبيهقي ٦/ ٢٣٤ و٩/ ١١٧و ١١٨و ١٧١ والطبراني في الكبير ٨/ ٩ وابن أبي شيبة ١٤/ ٤٧٥ وعبد الرزاق (٩٧٣٩) والطبراني في الصغير ٢/ ٧٢ والدار قطني ٣/ ٦٠ والطحاوي في المعاني ٣/ ٣٢١ والبيهقي في الدلائل ٥/ ٣٢ و ٣٧ و ٥٦ والسيرة الحلبية ج٣ ص٨٠ وتاريخ الخميس ج٢ ص٨١.

(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص٨٠.

شريك له، وشهد أن محمداً رسول الله، وكف يده فهو آمن، ومن جلس عند الكعبة ووضع سلاحه فهو آمن».

فقال العباس: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر، فلو خصصته بمعروف.

فقال «صلى الله عليه وآله»: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن».

قال أبو سفيان: داري؟

قال: دارك.

ثم قال: «ومن أغلق بابه فهو آمن»[1].

ونص آخر يقول:

وجاء حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأسلما وبايعاه، فلما بايعاه بعثهما رسول الله «صلى الله عليه وآله» بين يديه إلى قريش، يدعوانهم إلى الإسلام.

وقال: من دخل دار أبي سفيان ـ وهو بأعلى مكة ـ فهو آمن، ومن دخل دار حكيم ـ وهو بأسفل مكة ـ فهو آمن، ومن أغلق بابه وكف يده فهو آمن[2].

ونقول:

إن في هذه النصوص العديد من الإشارات والدلالات، نذكر منها ما يلي:

---

(١) البحار ج٢١ ص١٢٩ عن إعلام الورى.

(٢) مجمع البيان ج١٠ ص٥٥٦، والبحار ج٢١ ص١٠٤ وتاريخ الخميس ح٢ ص٨١.

هل هذا تشريف لأبي سفيان؟!:

قد كان مما أعطاه رسول الله «صلى الله عليه وآله» لأبي سفيان: أن جعل الأمان لمن دخل داره، لأن أبا سفيان يحب التفخيم والذكر، كما قاله العباس رحمه الله.

ولكن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وإن كان قد أنعم لأبي سفيان بهذا الأمر وأعطاه إياه بيد، ولكنه عاد فأخذه منه باليد الأخرى، بأسلوب رصين يجعل الناس يدركون للتوِّ: أنه مجرد إجراء شكلي ليس له مضمون تشريف ولا تكريم، لأنه:

١ ـ أعطى مثل ذلك لحكيم بن حزام أيضاً.

٢ ـ ساوى بين دخول دار أبي سفيان، وبين اللجوء إلى راية الأمان، التي جعلها مع أبي رويحة.

٣ ـ ساوى أيضاً بينه وبين أية دار في مكة يدخلها صاحبها، ويغلق بابها على نفسه.

٤ ـ ساوى بين ذلك وبين أن يضع الإنسان سلاحه، ويكف يده، ليكون ذلك إشارة إلى مجرد اتخاذ وضع غير قتالي.

وبذلك يتضح: أن أبا سفيان ليس فقط لم يحصل على ما أراد من الذكر والفخر، وإنما أُخِذَ منه ما كان قد استلبه بغير حق.. لأن المساواة بين دخول داره وبين دخول دار أي إنسان في مكة، ثم بين ذلك وبين أن يكف الإنسان يده ويضع سلاحه فيها حط من المقام الذي جعله أبو سفيان لنفسه، وجعله كأي إنسان آخر من أهل مكة..

وذلك بعد أن جعله أيضاً مثل حكيم بن حزام.. الأمر الذي لا يرضاه

أبو سفيان، ولا يقرّ به له.

ولا بد من أن يرضي ذلك ابن حزام، وربما تذهب به الأوهام إلى أبعد من ذلك، إذا كان يذكي لديه الطموح لمنافسة أبي سفيان، أو لعدم الإقرار له بالتفرد في الزعامة على الأقل.. ومن شأن هذا أن يزعج أبا سفيان، ويؤرقه في مضجعه أيضاً.

إستجداء بعد الإستغناء:

لقد كان أبو سفيان طيلة حوالي عشرين سنة يسعى لإطفاء نور الله، مدَّعياً لنفسه مواقع الشرف والكرامة، متخذاً من هذا الفعل المخزي والمشين سبيلاً للمجد والذكر والفخر، وشيوع الذكر.

ولكنه بين ليلة وضحاها أصبح يستجدي شيئاً من الذكر، وما يوجب له الفخر من نفس هذا العدو الذي لم يزل يحاربه إلى تلك اللحظة، ولو قدر على شيء من ذلك لما تردد فيه..

فما هذه الدنيا التي تذل حتى أشد الناس حباً لها، ولا تعطيهم شيئاً إلا أن يدفعوا ثمنه أعز شيء لديهم، وأغلاه عليهم؟!

حفظ حرم الله تبارك وتعالى:

ولسنا بحاجة إلى التأكيد على أن إعلان الأمان لأهل مكة، وكذلك سائر المواقف والسياسات النبوية في مسيره «صلى الله عليه وآله» إلى مكة، تظهر بما لا مجال معه لأي شبهة وريب: أن المطلوب هو: أن لا تراق أية قطرة دم في حرم الله تبارك وتعالى..

ولا بد من أن يقارن الكثيرون من أهل مكة وغيرهم بين هذه السياسة

مع صناديد قريش وكل رجالها، وبين ما فعله أهل مكة أنفسهم بالخزاعيين الأبرياء من الصبيان، والنساء، والرجال الضعفاء. في حين أن قريشاً لو تمكنت من الحرب لأبادت هذا الجيش القادم بأكمله في نفس بيت الله وحرمه..

وضوء وصلاة أبي سفيان:

وقد أظهر النص المتقدم عن البحار عن إعلام الورى: أن أبا سفيان قد توضأ وصلى مع المسلمين.

ونقول:

إن ذلك لا مجال لقبوله، إن كان أبو سفيان على شركه إلى تلك اللحظة، كما ذكرته بعض الروايات، فإنه إنما أسلم بعدما بات عند العباس..

وإن أخذنا برواية البحار وإعلام الورى، وقلنا: بأنه قد أسلم ليلاً، ثم سلمه النبي «صلى الله عليه وآله» إلى العباس ليبيت عنده، فلما أصبح رأى أذان المسلمين وصلاتهم، فصلى معهم.. فلا غبار على الرواية التي نتحدث عنها من هذه الجهة..

إلا أن يقال: إنه قد بات ليلة أخرى غير الليلة التي أُخذ فيها، وكان قد أسلم نهاراً، وهو إنما توضأ وصلى في صبيحة الليلة الثانية، فلا يبقى إشكال في قولهم: إنه توضأ وصلى، حتى على القول الأول.

الدعاة الجدد إلى الإسلام:

وفي النصوص المتقدمة: أن النبي «صلى الله عليه وآله» بعث بديل بن ورقاء، وحكيم بن حزام يدعوان الناس في مكة إلى الإسلام، بل فيها: أن

أبا سفيان نفسه قد تبرع بذلك، لكنه كان على جهل تام بما يريد قوله، فطلب أن يعلموه ما يقول للناس في ذلك، فعلمه النبي «صلى الله عليه وآله» أن يطلب من الناس النطق بالشهادتين.

ونقول:

إن هؤلاء وهم رؤوس الشرك يمكن أن يساهموا في إطفاء نار الحرب، وحمل الناس على ترك القتال.. لأن ذلك يحفظ أرواح الناس، خصوصاً إذا كانوا من أهلهم، وعشيرتهم، أو من أحبائهم وأصدقائهم، أو من حلفائهم.

ويمكن أن يقدموا على ذلك من منطق الحفاظ على حرمة البيت والحرم، ولأجل حفظ ماء وجههم أمام الآخرين.. لا لأجل أن للحرم قداسة حقيقة في نفوسهم.

ولكننا لا يمكن أن نصدق: أن رؤوس الشرك يطلبون أن يكونوا دعاة للناس للدخول في هذا الدين، إلا على أساس أنه نفاق واستغلال، لا سيما وأنهم كانوا لا يزالون يحاربون هذا الدين للحظات خلت. بل إن أبا سفيان قد ماطل وسوَّف ولم يزل يقول لرسول الله «صلى الله عليه وآله»: إن في النفس شيئاً من الشهادة له بالرسالة. فكيف يعقل أن يتحول في تلك اللحظة نفسها إلى داعية صادق لهذا الدين؟! ولو قيل: لعل الله هو الذي تصرف في قلبه!!

قلنا: لماذا تأخر هذا التصرف إلى الآن؟!

أبو سفيان يرصد كتائب الفتح:

ولما صلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالناس الغداة، قال للعباس:

«خذه إلى رأس العقبة، فأقعده هناك ليراه الناس جنود الله ويراها».

فقال أبو سفيان: ما أعظم ملك ابن أخيك.

قال العباس: يا أبا سفيان هي نبوة.

قال: نعم[١].

وزعموا أيضاً: أنه لما توجهوا ذاهبين قال العباس: يا رسول الله، إني لا آمن أبا سفيان أن يرجع عن إسلامه، فارده حتى يفقه، ويرى جنود الله ـ تعالى ـ معك[٢].

وعن أبي سلمة ويحيى بن عبد الرحمن بن حاطب: أن أبا سفيان لما ولى، قال أبو بكر: يا رسول الله، لو أمرت بأبي سفيان فحبس على الطريق؟[٣].

ونرى: أن الصحيح هو ما قاله ابن إسحاق ومحمد بن عمر: من أن أبا سفيان لما ذهب لينصرف، قال رسول الله «صلى الله عليه وآله» للعباس: «احبسه بمضيق الوادي (حتى تمر عليه جنود الله)».

قال ابن عقبة، ومحمد بن عمر: فأدركه العباس فحبسه، فقال أبو سفيان: أغدراً يا بني هاشم؟

فقال العباس: إن أهل النبوة لا يغدرون. زاد الواقدي قوله: ولكن لي إليك حاجة.

فقال أبو سفيان: فهلا بدأت بها أولاً؟

---

(١) البحار ج٢١ ص١١٩ عن الخرايج والجرايح، والمغازي للواقدي ج٢ ص١١٨.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢١٨ عن ابن عقبة.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢١٨ عن ابن أبي شيبة.

فقلت: إن لي إليك حاجة، فيكون أفرخ لروعي؟!

قال العباس: لم أكن أراك تذهب هذا المذهب.

وعبأ رسول الله «صلى الله عليه وآله» أصحابه الخ.. [١].

ولفظ ابن عقبة: إنا لسنا بغدر، ولكن أصبح حتى تنظر جنود الله، وإلى ما أعد الله للمشركين.

قال ابن عقبة: فحبسهم بالمضيق دون الأراك إلى مكة حتى أصبحوا[٢].

كتائب الإسلام إلى مكة:

قالوا: وأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» منادياً ينادي، لتصبح كل قبيلة قد أرحلت، ووقفت مع صاحبها عند رايته، وتظهر ما معها من الأداة والعدة.

فأصبح الناس على ظهر، وقدَّم بين يديه الكتائب.

قالوا: ومرت القبائل على قادتها. والكتائب على راياتها[٣].

قال محمد بن عمر: وكان أول من قدم رسول الله «صلى الله عليه وآله» خالد بن الوليد في بني سليم وهم ألف، ويقال: تسعمائة، ومعهم لواءان وراية، يحمل أحد اللواءين العباس بن مرداس، والآخر يحمله خفاف بن

---

(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٨١٨ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٣ ص٤٥٢.

(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص٨٠ والبحار ج٢١ ص١٠٤ و ١١٨ و ١١٩ و ١٢٩ وتاريخ الخميس ج٢ ص٨١ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢١٨ وراجع: مجمع البيان ج١٠ ص٥٥٦.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢١٩ عن ابن عقبة.

ندبة، ويحمل الراية الحجاج بن علاط ـ بعين مضمومة ـ (وعند المعتزلي: وراية يحملها المقداد)، فلما مروا بأبي سفيان، كبروا ثلاث تكبيرات، ثم مضوا، فقال أبو سفيان: يا عباس!! من هؤلاء؟

فقال: هذا خالد بن الوليد.

(**وفي نص آخر قال أبو سفيان**: هذا رسول الله؟ قال: لا، ولكن هذا خالد بن الوليد في المقدمة)[1].

قال: الغلام؟

قال: نعم.

قال: ومن معه؟

قال: بنو سليم.

قال: ما لي وبني سليم!

ثم مر على أثره الزبير بن العوام في خمسمائة من المهاجرين وأفناء العرب[2]، ومعه راية سوداء.

فلما مروا بأبي سفيان كبروا ثلاثاً.

فقال أبو سفيان: من هؤلاء؟ وفي نص آخر: يا عباس! هذا محمد؟!

قال: هذا الزبير بن العوام.

قال: ابن أختك؟

قال: نعم.

---

(١) البحار ج١ ص١٣٠.

(٢) الأفناء: الأخلاط من الناس لا يُعرف من أي القبائل هم.

ثم مرت بنو غفار في ثلاثمائة، يحمل رايتهم أبو ذر.

ويقال: إيماء بن رحضة، فلما حاذوه، كبروا ثلاثاً.

فقال أبو سفيان: من هؤلاء؟

قال: بنو غفار.

قال: ما لي ولبني غفار؟

ثم مرت أسلم في أربعمائة، فيها لواءان، يحمل أحدهما بريدة بن الحصيب، والآخر ناجية بن الأعجم، فلما حاذوه كبروا ثلاثاً.

فقال: من هؤلاء؟

قال العباس: أسلم.

قال: ما لي ولأسلم؟ (ما كان بيننا وبينهم تِرَةٌ قط.

قال العباس: هم قوم مسلمون دخلوا في الإسلام).

ثم مرت بنو كعب بن عمرو في خمسمائة، يحمل رايتهم بسر بن سفيان فلما حاذوه، كبروا ثلاثاً.

فقال: من هؤلاء؟

قال العباس: بنو عمرو بن كعب بن عمرو، إخوة أسلم.

قال: نعم. هؤلاء حلفاء محمد.

ثم مرت مزينة في ألف. فيها ثلاثة ألوية، ومائة فرس. يحمل ألويتها النعمان بن مقرن، وعبد الله بن عمرو بن عوف، وبلال بن الحارث، فلما حاذوه كبروا ثلاثاً.

قال: من هؤلاء؟

قال العباس: مزينة.

قال: ما لي ولمزينة؟ قد جاءتني تقعقع من شواهقها[1].

ثم مرت جهينة في ثمانمائة، فيها أربعة ألوية، يحملها أبو روعة معبد بن خالد، وسويد بن صخر، ورافع بن مكيث وعبد الله بن بدر، فلما حاذوه كبروا ثلاثاً.

فقال: من هؤلاء؟

قال: جهينة.

قال: ما لي ولجهينة؟

ثم مرت كنانة بنو ليث وضمرة، وسعد بن بكر في مائتين، يحمل لواءهم أبو واقد الليثي، فلما حاذوه كبروا ثلاثاً.

فقال: من هؤلاء؟

قال العباس: بنو بكر.

قال: نعم، أهل شؤم والله! هؤلاء الذين غزانا محمد بسببهم. (زاد في نص آخر قوله: أما والله ما شووِرت فيهم ولا علمته، ولقد كنت له كارهاً حيث بلغني، ولكنه أمر حتم).

قال العباس: قد خار الله ـ تعالى ـ لكم في غزو محمد «صلى الله عليه وآله» أتاكم أمنكم، ودخلتم في الإسلام كافة.

ثم مرت أشجع وهم آخر من مر، وهم ثلاثمائة معهم لواءان، يحمل أحدهما: معقل بن سنان، والآخر: نعيم بن مسعود. فلما حاذوه كبروا ثلاثاً.

قال أبو سفيان: من هؤلاء؟

---

(١) تقعقع الشيء: أحدث صوتاً عند تحريكه.

قال العباس: هؤلاء أشجع.

قال أبو سفيان: هؤلاء كانوا أشد العرب على محمد.

قال العباس: وأدخل الله ـ تعالى ـ الإسلام في قلوبهم، فهذا فضل من الله.

ثم قال أبو سفيان: أبعدُ ما مضى محمد؟

فقال العباس: لا، لم يمض بعد، لو أتت الكتيبة التي فيها محمد رأيت فيها الحديد والخيل والرجال، وما ليس لأحد به طاقة.

قال: ومن له بهؤلاء طاقة؟

وجعل الناس يمرون، كل ذلك يقول أبو سفيان: ما مر محمد؟

فيقول العباس: لا، حتى طلعت كتيبة رسول الله «صلى الله عليه وآله» الخضراء التي فيها المهاجرون والأنصار ـ وسميت الخضراء لما فيها من الحديد، والعرب تطلق الخضرة على السواد والعكس ـ وطلع سواد شديد، وغبرة من سنابك الخيل، وجعل الناس يمرون، كل ذلك يقول: أما مر محمد؟

فيقول العباس: لا.

وفي هذه الكتيبة: الرايات والألوية، مع كل بطن من بطون الأنصار لواء وراية، وهم في الحديد لا يرى منهم إلا الحدق، ولعمر بن الخطاب فيها زجل[1] بصوت عال وهو يزعها[2] ويقول: رويداً حتى يلحق أولكم آخركم.

---

(١) الزجل: رفع الصوت.

(٢) وزع فلاناً: زجره ونهاه. ووزع الجيش: رتب فرقه، وسواهم صفاً واحداً.

وعند الواقدي: (فقال أبو سفيان: يا أبا الفضل! من هذا المتكلم؟!

قال: عمر بن الخطاب.

فقال أبو سفيان: لقد أَمِرَ أَمْرُ بني عدي بعد ـ والله ـ قلة وذلة.

فقال العباس: يا أبا سفيان، إن الله يرفع من يشاء بما يشاء. وإن عمر ممن رفعه الإسلام، ويقال: كان في الكتيبة ألف دارع)[1].

ويقال: ألفا دارع.

وأعطى رسول الله «صلى الله عليه وآله» رايته سعد بن عبادة، فهو أمام الكتيبة، فلما مر سعد براية رسول الله «صلى الله عليه وآله» نادى أبا سفيان فقال: اليوم يوم الملحمة، اليوم تُستحَل الحرمة، اليوم أذل الله قريشاً.

وفي نص آخر: اليوم تستحل الكعبة[2].

قال أبو سفيان: يا عباس، حبذا يوم الذمار[3].

فمرت القبائل، وطلع رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو على ناقته القصواء. قال محمد بن عمر: ـ طلع ـ بين أبي بكر الصديق، وأسيد بن الحضير ـ وهو يحدثهما ـ فقال العباس: هذا رسول الله «صلى الله عليه وآله»[4].

---

(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٨٢١.

(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص٨٢.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٢٠ وراجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٨٢ والمغازي للواقدي ج٢ ص٨١٨ ـ ٨٢١.

(٤) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٢١ وفي هامشه عن: ابن عبد البر في الدرر (٢١٦) والبيهقي في الدلائل ٥/ ٣٨ وابن كثير في البداية ٤/ ٢٩٠. والبحار ج٢١ =

وفي الصحيح عن عروة: أن كتيبة الأنصار جاءت مع سعد بن عبادة، ومعه الراية: قال: ولم ير مثلها، ثم جاءت كتيبة هي أقل الكتائب، فيهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأصحابه، وراية رسول الله «صلى الله عليه وآله» مع الزبير.

قال في العيون: كذا وقع عند جميع الرواة.

ورواه الحميدي في كتابه: هي أجل الكتائب، وهو الأظهر انتهى[1].

فقال أبو سفيان: لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم عظيماً.

قال العباس: قلت: يا أبا سفيان إنها النبوة.

قال: فنعم إذاً[2].

عن العباس ـ رضي الله عنه ـ قال: لما بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» قلت لأبي سفيان بن حرب: أسلم بنا.

قال: لا والله حتى أرى الخيل تطلع من كداء.

قال العباس: قلت ما هذا؟

= ص ١٣٠ و ١٠٤ و ١٠٧ و ١٠٨ عن شرح النهج للمعتزلي وغيره، والسيرة الحلبية ج٣ ص٨٠ و ٨١ ومجمع البيان ج١٠ ص٥٥٦ وتاريخ الخميس ج٢ ص٨١ و ٨٤.

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٢١ و ٢٦٧ وراجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٨٢ و ٨٣.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٢١ وفي هامشه قال: انظر المجمع ٦/ ١٧٣. وراجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٨١ ومجمع البيان ج١٠ ص٥٥٦ والبحار ج٢١ ص١٠٤ و ١١٨ و ١١٩ والمغازي للواقدي ج٢ ص٨٢٢.

قال: شيء طلع بقلبي، لأن الله لا يطلع خيلاً هناك أبداً.

قال العباس: فلما طلع رسول الله «صلى الله عليه وآله» من هناك ذكرت أبا سفيان به، فذكره[١].

قالوا: فلما مر رسول الله «صلى الله عليه وآله» بأبي سفيان، قال: يا رسول الله أمرت بقتل قومك؟! ألم تعلم ما قال سعد بن عبادة؟!

قال: «ما قال»؟!

قال: كذا وكذا، وإني أنشدك الله في قومك، فأنت أبر الناس، وأوصل الناس، وأرحم الناس.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «كذب سعد يا أبا سفيان، اليوم يوم المرحمة، اليوم يوم يعظم الله فيه الكعبة، اليوم يوم تكسى فيه الكعبة، اليوم يوم أعز الله فيه قريشاً». وأرسل إلى سعد فعزله عن اللواء[٢].

وعند ابن إسحاق: أن سعداً لما قال ما قال، سمعه رجل من المهاجرين.

قال ابن هشام: هو عمر بن الخطاب.

فقال: يا رسول الله، أتسمع ما قال سعد؟ ما نأمن أن يكون له في قريش صولة[٣].

زاد الدياربكري قوله: فقال «صلى الله عليه وآله» لعلي بن أبي طالب

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٢١ عن الطبراني ومجمع الزوائد ج٦ ص١٧٣.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٢١ والسيرة الحلبية ج٣ ص٨٢ والبحار ج٢١ ص١٠٩ عن المعتزلي، والمغازي للواقدي ج٢ ص٨٢١ و ٨٢٢.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٢١ وتاريخ الخميس ج٢ ص٨٢.

«عليه السلام»: أدركه، وخذ الراية، وكن أنت الذي تدخل بها[١].

واستبعد ذلك الحافظ من عمر هنا؛ لكونه كان معروفاً بشدة البأس عليهم[٢].

وعند محمد بن عمر: أن عبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان، قالا ذلك لرسول الله «صلى الله عليه وآله»[٣].

وقال ضرار بن الخطاب الفهري ـ فيما ذكره محمد بن عمر، وأبو عثمان سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي ـ شعراً يستعطف رسول الله «صلى الله عليه وآله» على أهل مكة، حين سمع قول سعد، قال أبو الربيع: وهو من أجود شعر قاله.

وعن جابر: أن امرأة من قريش عارضت رسول الله «صلى الله عليه وآله» بهذا الشعر، فكأن ضراراً أرسل به المرأة ليكون أبلغ في انعطاف رسول الله «صلى الله عليه وآله» على قريش:

يا نبي الهدى إليك لجا ... حي قريش ولات حين لجاء

حين ضاقت عليهم سعة الأر ... ض وعاداهم إله السماء

والتقت حلقتا البطان على القو ... م ونودوا بالصيلم[٤] الصلعاء

---

(١) تاريخ الخميس ج٢ ص٨٢.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٢١.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٢١ والسيرة الحلبية ج٣ ص٨٢ والبحار ج٢١ ص١٠٩ عن المعتزلي، والمغازي للواقدي ج٢ ص٨٢٢.

(٤) الصيلم: السيف المصقول.

إن سعداً يريد قاصمة الظهـ ـر بأهل الحجون والبطحاء
خزرجي لو يستطيع من الغيـ ـظ رمانا بالنسر والعواء
وغر الصدر[1] لا يهم بشيءٍ غير سفك الدما وسبي النساء
قد تلظى على البطاح وجاءت عنه هند بالسوءة السواء
إذ ينادي بذل حي قريش وابن حرب بذا من الشهداء
فلئن أقحم اللواء ونادى يا حماة الأدبار أهل اللواء
ثم ثابت إليه من بهم الخز رج والأوس أنجم الهيجاء
لتكونن بالبطاح قريش فقعة القاع في أكف الإماء
فأنهينه فإنه أسد الأسـ ـد لدى الغاب والغ في الدماء
إنه مطرق يريد لنا الأمـ ـر سكوتاً كالحية الصماء

فأرسل رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى سعد، فنزع اللواء من يده، وجعله إلى ابنه قيس بن سعد، ورأى رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن اللواء لم يخرج من يد سعد، حتى صار إلى ابنه[2].

وفي رواية: دخل ولد سعد بلوائه حتى غرزه بالحجون[3].

وزعموا أيضاً: أن سعداً أبى أن يسلم اللواء إلا بأمارة من رسول الله

---

(١) وغر الصدر: امتلأ غيظاً.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٢٢ والسيرة الحلبية ج٣ ص٨٢ والمغازي للواقدي ج٢ ص٨٢٢ وراجع: تاريخ الخميس ج٢ ص٨٢.

(٣) المغازي للواقدي ج٢ ص٨٢٢.

«صلى الله عليه وآله»، فأرسل النبي «صلى الله عليه وآله» بعمامته، فدفع اللواء إلى ابنه قيس.

ويقال: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أمر علياً «عليه السلام»، فأخذ الراية، فذهب بها إلى مكة حتى غرزها عند الركن[١].

وروي: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أعطى الراية للزبير إذ نزعها من سعد[٢].

زاد الدياربكري قوله: وجعله مكان سعد على الأنصار مع المهاجرين.

وعن الزبير: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» دفعها إليه فدخل بلواءين[٣].

قال الحافظ: والذي يظهر في الجمع: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أرسل علياً لينزعها، وأن يدخل بها[٤].

ثم خشي تغير خاطر سعد، فأمر بدفعها لابنه قيس، ثم إن سعداً خشي أن يقع من ابنه شيء يكرهه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فسأل رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يأخذها، فحينئذ أخذها الزبير[٥].

ويؤيد ذلك: ما رواه البزار بسند على شرط البخاري عن أنس قال:

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٢٢ والمغازي للواقدي ج٢ ص٨٢٢.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٢٢ عن ابن عبد البر والسيرة الحلبية ج٣ ص٨٢ والمغازي للواقدي ج٢ ص٨٢٢ وراجع: تاريخ الخميس ج٢ ص٨٢.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٢٢ عن أبي يعلى، وموسى بن عقبة.

(٤) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٢٢ و ٢٢٣ والسيرة الحلبية ج٣ ص٨٢.

(٥) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٢٢ و ٢٢٣ وتاريخ الخميس ج٢ ص٨٢.

كان قيس في مقدمة رسول الله «صلى الله عليه وآله» لما قدم مكة، فكلم سعد النبي «صلى الله عليه وآله» أن يصرفه عن الموضع الذي هو فيه مخافة أن يقدم على شيء فصرفه عن ذلك. انتهى[١].

وفي نص آخر: أن أبا سفيان سعى إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» (وزاحم حتى مرَّ تحت الرماح)، وأخذ بغرزه[٢]، فقبَّله، وقال: بأبي أنت وأمي، أما تسمع ما يقول سعد؟ إنه يقول:

اليوم يوم الملحمة اليوم تسبى الحرمة

فقال لعلي «عليه السلام»: أدركه، فخذ الراية منه، وكن أنت الذي يدخل بها، وادخلها إدخالاً رفيقاً.

فأخذها علي «عليه السلام»، وأدخلها كما أمر[٣].

ونقول:

قد احتوت النصوص المتقدمة أموراً عديدة ينبغي الوقوف عندها. وقد آثرنا أن نقتصر هنا على بعض منها، وهي الأمور التالية:

العباس هو المشير أم أبو بكر؟!:

يلاحظ: أن بعض الروايات المتقدمة تذكر: أن العباس هو الذي اقترح أن يرى أبو سفيان عرض جنود الله تعالى.

---

(١) المصدران السابقان.

(٢) الغرز: ركاب الرجل.

(٣) مجمع البيان ج١٠ ص٥٥٧ والبحار ج٢١ ص١٠٥ و ١٣٠ عن إعلام الورى،